الفكر الدبلوماسي لدى الشيخ محمد تقي الشيرازي(قدس)

ا. د. عبدالله حميد العتابي

جامعة بغداد / كلية التربية للبنات

altabybdallh290@gmail.com

ملخص البحث:

شكلت عالمية الرسالة التي تحملها المرجعية الدينية مقصداً من مقاصد المرجعية في سياستها الخارجية، ولان مفهوم الدبلوماسية يطلق على السلوك الذي يتم اتخاذه من جانب بعض الافراد بغية احداث بعض التغييرات على السياسات التي تتخذها بعض الحكومات. فاستلزم ذلك اقرار المرجعية بدبلوماسية الابواب المفتوحة في محيط علاقاتها مع غيرها، ورفض سياسة العزلة والانغلاق، لذا تناول هذا البحث مسالة بالغة الاهمية في حقل دبلوماسية المرجعية.واعتقد الباحث ان المرجعية الدينية لها فضل السبق في ارساء دعائم اصول الدبلوماسية، اذ قام الشيخ محمد تقي الشيرازي، ونجله البكر محمد رضا محمد تقي الشيرازي، فضلا عن شيخ الشريعة الاصفهاني اسس تلك الدبلوماسية وجعلها نموذجا في القدوة من خلال المذكرات الرسمية ذات الطبيعة الدبلوماسية التي استعرضت مآسي العراقيين وفضح الممارسات القمعية لقوات الاحتلال البريطاني، وتطلع العراقيون الى الحرية والاستقلال وحقوق الانسان واحترام الاقليات، والمطالبة بالحقوق الاساسية والحريات الرئيسية والتي تعد متأصلة لدى كافة البشر وهي غير قابلة للتصرف وتنطبق على الجميع في اطار من المساواة والكرامة والسلامة، وان كل امة هي حرة ومتساوية من حيث الكرامة والحقوق الامر الذي اقر به العالم في منتصف القرن العشرين.

الكلمات المفتاحية: المرجعية الدينية، الفكر الدبلوماسي، الشيخ محمد تقي الشيرازي، ثورة العشرين.

The Diplomatic Thought of Sheikh Muhammad Taqi al-Shirazi

Abstract

The reasons for choosing this study (the Diplomatic Thought of Sheikh Muhammad Taqi al-Shirazi) came to refute the belief of some that the religious reference was limited to the religious and social aspects only, and that it had nothing to do with foreign policy and was not good at diplomacy. The historical reference, so it was important to define and highlight this aspect, and to prove its truth with documentary evidence that the reference practiced peace diplomacy in order to achieve the aspirations of the Iraqi people.

The research came in this introduction, three chapters and a conclusion as follows:

Introduction: It includes the importance of the research, its objectives, reasons for choosing it, research methodology, documents, sources and references used.

The first topic: the diplomatic correspondence of Shirazi and his son with the King of Hejaz and his sons.

The second topic: the diplomacy of the religious reference towards the League of Nations and world leaders.

The third topic: Correspondence of the seminary leaders with US President Woodrow Wilson.

In its subject, the study relied on a variety of sources and references, ranging from published documents to various academic document studies. The most

prominent published documents were (The Documents of the great Iraqi Revolution, its Introductions and Results), in its three parts, which were collected and commented on by Kamel Salman al-Jubouri, which was issued by the Arab Historian House in beirut in 2009. This documentary record is indispensable to the researcher in the history of the twentieth revolution.

Keywords: Religious reference, diplomatic thought, Sheikh Muhammad Taqi al-Shirazi, the Twenty Revolution

المقدمة

اصَّلت المرجعية الدينية لكثير من الجوانب الاساسية في مفهومنا المعاصر، ومنها السياسة الخارجية، ولان الدبلوماسية هي العملية السياسية التي تتحقق بها علاقات الدول، ومصالحها فإنها تصبح على علاقة وطيدة مع السياسة الخارجية، بل وتشكل جزءا اساسيا منها، فبقدر ما تعتبر الدبلوماسية اداة تنفيذ للسياسة الخارجية بقدر ما تعتبر الدبلوماسية اداة تحضير واعداد في الوقت نفسه. والحق، فقد اقامت المرجعية الدينية نظاما سياسيا خارجيا تمثل في المذكرات الدبلوماسية في وسط محيط مملوء بالصراعات والتناقضات يومذاك، وخاصة امام اعتى قوة يومذاك بريطانيا العظمى، الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، فكانت المذكرات الدبلوماسية مع الملوك والمسلمين و زعماء العالم، المفصح الحقيقي عن مكنونات العراقيين، ولغتهم المعبرة عن واقعهم وواقع من تمثلهم، والناطق الرسمي عنهم.

تتبع المذكرات الدبلوماسية لزعامات الحوزة محمد تقي الشيرازي وولده محمد رضا، هو الهدف الاساس لهذه الدراسة.

تستمد الدراسة اهميتها من اهمية السياسة الخارجية التي لم تكن اقل اهمية من السياسة الداخلية، فالسياسة الخارجية لمرجعية الشيخ الشيرازي امتدادا لخطها الداخلي الذي يمكن وصفه بانها الممثل الشرعي الوحيد في مدة البحث، وحراك مذكراتها الدبلوماسية هي انعكاس للأوضاع الداخلية تتأثر بها وتؤثر فيها، ومن اهمية الانفتاح، فمرجعية الشيرازي لم تكن منغلقة على نفسها، فقد حظي الاحتلال البريطاني للعراق، وممارسات حكامه في مدن العراق واقضيتها سياسة تعسفية باهتمام المرجعية، التي دعت الشعب العراقي الى الاحتجاج السلمي وكتابة

المضابط، وحين غالى البريطانيون في قمعهم، لم تتردد في الدعوة للجهاد، الا انها من جانب اخر وظفت المذكرات الدبلوماسية مع الحاكم المدني البريطاني في العراق، ومع ملوك ورؤساء العالم العربي والاسلامي والدولي، وبتقديرنا المتواضع، وضعت مرجعية الشيخ الشيرازي اسس ومبادئ لما يجب ان تكون عليه العلاقات السياسية الخارجية بين الدول، وامتازت المذكرات الدبلوماسية للشيخ ونجله بمنهجية فريدة في التعامل تختلف عن الباقين.

قدر تعلق الامر بأهداف البحث، فان هذه الدراسة تهدف الى تحقيق الامور التالية:

١ – التعرف على صور الدبلوماسية من خلال نشاط مرجعية الشيرازي، لأنها احتلت موقع الصدارة خلال عامي ١٩١٩ و١٩٢٠.

٢ – بيان ان المشكلات التي افرزتها سياسات بريطانيا التعسفية في ادارتها لحكم العراق، تفرض معالجة تلك المشاكل والازمات من خلال رؤية جديدة تضمن تحقيق السلم في جوانب الحياة الانسانية كافة، عن طريق توظيف الدبلوماسية.

٣ – بيان ان علاقات الدول ولاسيما بريطانيا من غير سياسة حكيمة ستفضي الى قهر العراق، وشيوع الظلم فيه، وعدم تحقيق قيم العدالة والسلام والفضيلة التي تسعد بها الانسانية على اختلاف اعراقها.

٤ – بيان ان المرجعية الدينية لم تقتصر على معالجة امور حياة المسلمين وشؤونهم الدينية والاجتماعية فحسب، بل امتدت الى وضع دبلوماسية صريحة.

جاءت اسباب اختيار تلك الدراسة (**الفكر الدبلوماسي لدى الشيخ محمد تقي الشيرازي**) لدحض اعتقاد البعض بان المرجعية الدينية اقتصر عملها على الجانبين الديني والاجتماعي فقط، وان لا شأن لها بالسياسة الخارجية ولا تجيد الدبلوماسية،

ومما لاشك فيه، ان هذا الطرح المغلوط فيه تجنياً على دور المرجعية التاريخي، لذا كان من المهم التعريف بهذا الجانب وابرازه، واثبات حقيقته بالأدلة الوثائقية على ان المرجعية مارست دبلوماسية السلام من اجل تحقيق طموحات الشعب العراقي.

يمكن القول ان هذا البحث يسعى الاجابة عن التساؤلات الاتية:

١. ما الدبلوماسية التي انتهجها الشيخ الشيرازي ونجله؟
٢. ما صور الدبلوماسية في التعامل مع بريطانيا والدول الأخرى؟
٣. هل توافقت المذكرات الدبلوماسية الصادرة من الشيخ الشيرازي مع القانون الدولي؟

اعتمد الباحث في طرح هذا الموضوع على المنهجين الاستقرائي والتحليلي، وذلك باستقراء المادة العلمية المتعلقة بالدراسة من مصادرها الوثائقية، وتحليلها، وفي الوقت نفسه، لم يخل البحث من المنهج المقارن احيانا، الذي يبرز توائم تلك المذكرات مع القانون الدولي.

جاء البحث في هذه المقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو الاتي:

المقدمة: وفيها اهمية البحث واهدافه واسباب اختياره ومنهج البحث والوثائق والمصادر والمراجع المستخدمة.

المبحث الاول: المراسلات الدبلوماسية للشيرازي ونجله مع ملك الحجاز وانجاله.

المبحث الثاني: دبلوماسية المرجعية الدينية تجاه عصبة الامم وزعماء العالم.

المبحث الثالث: مراسلات زعامات الحوزة مع الرئيس الامريكي ودرو ويلسن.

اعتمدت الدراسة في مادتها على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع، تتراوح

ما بين وثائق منشورة، ودراسات وثائقية أكاديمية متنوعة، وتعد الوثائق المنشورة في مقدمة تلك المصادر، لما جاء بها من معلومات قيمة غاية في الاهمية، خصت أجزاء واسعة من الدراسة. وكان أبرز الوثائق المنشورة، (**وثائق الثورة العراقية الكبرى ومقدماتها ونتائجها**) بأجزائها الثلاث، التي جمعها وعلق عليها كامل سلمان الجبوري، التي صدرت من دار المؤرخ العربي في بيروت عام ٢٠٠٩. وهذا السجل الوثائقي لا غنى عنه للباحث في تاريخ ثورة العشرين.

ويمتاز كتاب فريق المزهر الفرعون (**الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠**) بكثرة الوثائق وتنوعها. يبدو أن احتكاك فريق بالثوار ومساهمته شخصيا مع أفراد أسرته بالعمليات العسكرية للثورة، وقرابته من أحد زعماء ثورة العشرين وهو الشيخ عبد الواحد الحاج سكر، مكنه من الحصول على وثائق الثورة التي لم يتمكن احد غيره من الحصول عليها. واهم ميزات الكتاب أن مؤلفه مثل في كتابه وجهة نظر إبناء العشائر اللذين قامت على اكتافهم الحركات العسكرية للثورة. الا ان ما يؤخذ على الكتاب افتقاده لمبدأ الحيادية بمحاولاته جعل الثورة (**فراتية**) فقط لا عراقية. وركز على بطولات ابناء عشيرته (آل فتلة) على حساب عشائر الفرات الاوسط.

من الكتب التي اعتمدت عليها الدراسة كتاب المرحوم عبد الرزاق الحسني الموسوم (**الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠**) إذ يعد من المصادر الاساسية عن الثورة ونشاط الثوار في معقل الثورة الرئيسي. وتضمن الكتاب مجموعة أسئلة وجهها المؤلف إلى العديد من الساسة، ورجالات الثورة وقادتها ونشر أجوبتهم في نهاية الكتاب. ومن الجدير بالذكر، أن المؤلف اعتمد على عدد من المصادر العربية والأجنبية الاصلية، فضلا عن الصحافة العراقية. إلا ان الحسني، لم يتناول الدلائل

أو الوثائق التي تدعم أحكامه التي أصدرها في ثنايا الكتاب.

وهكذا سعيت سعُيْي، وليس للإنسان الا ما سعى، راجيا ان تأخذ هذه الدراسة مكانتها في المكتبة العراقية والعربية، مؤكدا اني لا ادعي الكمال، فالراي الواحد لا يمكن ان يكون بناءً غالبا ما لم يشارك الاخرون بآرائهم، التي تزيد من قيمة الموضوع، وتغني رصانته العلمية.

مراسلات الشيرازي ونجله الدبلوماسية مع ملك الحجاز وانجاله لعرض القضية العراقية

كانت رؤى زعيم الحوزة العلمية الشيخ محمد تقي الشيرازي[١] ونجله البكر الشيخ محمد رضا[٢] الدبلوماسية، عرض قضية بلادهم على الرأي العام العربي؛

(١) محمد تقي الشيرازي: هو الميرزا محمد تقي بن مِحُب علي بن أبي الحسن بن الميرزا محمد علي الملقب بـ(كلشن) الحائري الشيرازي، ولد في مدينة (شيراز) في أيران سنة ١٨٤٠م (١٢٥٦هـ)، ينتسب لأسرة ذات علم وأدب فكان والده الميرزا محب علي من أهل الورع والدين، أما أخوه الأكبر الميرزا محمد علي فكان من كبار رجال الدين في إيران. درس في سامراء، ثم عاد إلى موطنه (شيراز)، وتصدى فيها لشؤون التدريس والفتاوي الشرعية طوال حياته، وكانت له المرجعية العليا فيها، كما إن عمه ميرزا حبيب الله كان من مشاهير الشعراء في مدينة شيراز. قائد ثورة العشرين، توفي في ١٧ آب ١٩٢٠. للتفاصيل:
لمزيد من التفاصيل عن محمد تقي الشيرازي انظر: علاء عباس نعمة، محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٨-١٩٢٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية / جامعة بابل، ٢٠٠٤.

(٢) الشيخ محمد رضا الشيرازي: وهو أكبر أبناء المرجع محمد تقي الشيرازي، وساعده الأيمن في تأجيج الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ضد الاحتلال البريطاني، وكان صلة الوصل بين والده والعشائر العراقية الثائرة. ولقي في سبيل ذلك متاعب ومعاناة كبيرة، إذ أعتقل وأدخل السجن ثم نفي إلى جزيرة (هنجام)، في الخليج العربي، ثم أفرج عنه بعد أقل من شهر وسافر إلى إيران وبقي هناك طيلة حياته ولم يرجع إلى العراق، بعد أن شجع الحركة الوطنية ضد الاحتلال البريطاني، =

وبما ان الحجاز اول مملكة عربية مستقلة، ومجاورة للعراق، ومعترف بها دولياً، فقد رأى زعماء الحوزة الاتصال بالملك الحسين ملك الحجاز[١]، لذا ارسل الشيرازي

=لهذا السبب أتهته السلطات البريطانية بالميل إلى النزعة البلشفية في روسيا، وصفته المس بيل (١٨٦٨ – ١٩٢٦) ((كان سياسياً فعالاً لا يستقر على حال، معارضاً للاتفاقية الإيرانية – البريطانية معارضة مرة، وعلى هذا الأساس فقد كرس جهوده لمناوئة الحكومة البريطانية في العراق))، كما أتهمته بأنه يقبض المال من الأتراك، وأضافت المس بيل في وصف الشيخ محمد رضا: ((.... ومع أنه لم يكن يعترف به كعالم فأنه كان يتمتع بالاحترام الذي كانت تعامل به أسرة المجتهد الأكبر، كما إن تأثيره على أبيه جعله مرجعاً أعلى للرأي)). حيث إن هذه الاتهامات لا تتناسب مع شخصية وطنية تنحدر من أسرة مرجعية فهي لا تتعدى محاولة للنيل من هكذا شخصية يهدف التقليل من دوره الاجتماعي والسياسي من خلال هذه الاتهامات.وتوفي سنة ١٩٥٧ في مدينة طهران في إيران. للتفاصيل: عبدالله حميد العتابي وغانم نجيب عباس، الخطاب الحوزي في ثورة العشرين، بغدد، ٢٠٢٠.

(١) ولد الشريف الحسين في اسطنبول عام ١٨٥٣م، حيث كان يقيم أبوه وجده آنذاك، ثم عُينّ جده أميرا للحجاز فسافر معه إلى مكة، حيث تلقى دراسته، كما نال خبرة واسعة خلال شبابه في شؤون القبائل. أبناء الشريف «الملك» الحسين بن علي هم الأمراء والملوك فيما بعد: علي وعبدالله وفيصل والأمير زيد. بعد تعيين أمير جديد للحجاز ازداد النفوذ والتدخل العثماني، وقد أثار ذلك حفيظة الشريف الحسين وعدد من الوجهاء، وكانت النتيجة أن السلطان استدعاه إلى اسطنبول ونفى من تبقى من معارضين، وقد أقام الحسين في اسطنبول ستة عشر عاما، ورغم أن إقامته كانت شكلا من النفي إلا أن السلطان قد عينه عضوا في مجلس شورى الدولة، حتى تم تعيينه أميرا للحجاز، فحد من نفوذ الولاة، وقاد الحملات إلى مختلف المناطق لتعزيز سلطة الدولة، وسعى جاهداً لتحقيق العديد من الإصلاحات الإدارية والاجتماعية. وبعد أن استولى حزب الاتحاد والترقي على مقاليد الحكم في الدولة العثمانية، تم اضطهاد العرب، وبذل الحسين جهودا عديدة لاحتواء الأزمة بتحقيق المطالب العربية في الاستقلال، فطالب بمنح سوريا والعراق والحجاز الاستقلال الذاتي والعفو عن المعتقلين السياسيين، لكن الدولة العثمانية رفضت، فأعلن الشريف الحسين بن علي ثورة العرب، وحققت القوات العربية انتصارات مهمة في ميادين الحرب العالمية الأولى، أجبرت الحلفاء على الاعتراف بالعرب «أمة محاربة»، واشترك العرب في مؤتمر السلام بباريس، ولكن الحلفاء لم يفوا بعهودهم، وغزا الفرنسيون سوريا واحتلوها. وفي عام ١٩٢١م=

بمذكرة دبلوماسية له، ركز المرجع محمد تقي الشيرازي على ان البريطانيين والفرنسيين ادعوا انهم دخلوا الحرب ضد الاتراك، بغية تحرير الشعوب، وان لكل شعب حق تقرير المصير، الذي يجيز لنفسه، اختيار نوع الحاكم الذي يسعى اليه، وابلغ الشيرازي، الملك حسين بمسالة الاستفتاء في مدن العراق ونقاطه الثلاث، واكد في رسالته على قرار العراقيين بالقول: «**ان الموصل جزء لا يتجزأ من العراق، وطلبوا اليه تأسيس حكومة عربية دستورية، على ان يكون احد انجال الملك حسين ملكا على العراق**»[١].

ويبدو ان دبلوماسية المرجعية كانت مؤثرة على الملك الحجازي، الذي سارع في الرد واصفا الشيرازي:« **المجتهد الافضل والحبر الاكمل الشيرازي**»تعهد من خلالها الملك ببذل اقصى الجهود لتحقيق اماني العراقيين، وطمأن الملك، المرجع بالقول: «**بانا على ما تأملون. اما الفوز برغائبكم، بل رغائبي فيكم، التي هي قرة عيني،، او ترك الدنيا وما فيها، والله يتولانا واياكم بتوفيقه**»[٢] .

=قامت بريطانيا بمحاولة للتفاهم مع العرب، حيث دارت مفاوضات بين بريطانيا والشريف الحسين لعقد معاهدة صداقة، ولكن الحسين رفض تلك المعاهدة لأن بريطانيا أصرت على أن يعترف بالانتداب على فلسطين، والذي ينطوي على الاعتراف بالوطن القومي لليهود، فتم التآمر عليه ونفيه إلى قبرص. عاش الحسين بن علي في منفاه حتى نهاية عام ١٩٣٠م، حيث عاد إلى عمان وتوفي في قصر رغدان في ٣ حزيران ١٩٣١م، ووري الثرى في باحة المسجد الأقصى في القدس الشريف.للتفاصيل: نضال داود المومني، الشريف الحسين بن علي والخلافة، منشورات لجنة تاريخ الاردن،١٩٩٩.

(١) عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢،ص ١٨١-١٨٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨٢.

وفي مذكرة دبلوماسية اخرى، بعثها زعيم الحوزة الدينية الشيخ الشيرازي الى الامير فيصل بن الحسين، في السابع من رمضان ١٣٣٨، اثنى فيها على جهود فيصل بن الحسين[١] في: «**سبيل احياء الجامعة العربية**»، التي هي عنوان «**المجد**

(١) فيصل بن الحسين ولد الأمير فيصل في مكة المكرمة في ٢٠ أيار ١٨٨٣م حيث تلقى تعليمه الابتدائي، ثم تابع دراسته في اسطنبول، قبل أن يعود إلى الحجاز مع والده وأخوانه في العام ١٩٠٨م، وفي العام التالي انتخب نائباً عن لواء جده في مجلس المبعوثان «النوب» العثماني. في عام ١٩١٥م وبعد اتصال أعضاء الجمعيات السرية بالشريف الحسين لقيادة النهضة العربية، أوفد الشريف ابنه الأمير فيصل إلى دمشق ليتعرف على حقيقة الوضع، وعندما اشتد طغيان جمال باشا «السفاح» في سوريا أوفده والده مرة أخرى عام ١٩١٦م لكي يتوسط من أجل الأحرار والزعماء الذين كانت تجري محاكمتهم عسكرياً، وعندما أصر السفاح على بغيه ونفذ أحكام الإعدام بالأحرار السوريين في ٦ أيار ١٩١٦م، صار جليا أن العرب يقفون على مفترق الطرق، وفي أوائل حزيران من العام نفسه انطلقت الثورة.

وتولى فيصل قيادة الجيش الشمالي، وفي بادئ الأمر أدار مع أخيه الأمير علي دفة القتال حول المدينة المنورة، ثم تحول نحو الشمال فحرر «الوجه» وبعدها العقبة التي انتقل إليها في آب، وظل الجيش الشمالي يخوض المعارك في الأجزاء الجنوبية من شرق الأردن حتى أيلول ١٩١٨م عندما اشترك في الهجوم ضد جيوش الأتراك في سوريا، فدخل درعا ثم دخل دمشق صباح يوم ١ تشرين أول ١٩١٨م..

أرسى فيصل أسس الدولة السورية الحديثة، ثم أوفده الشريف الحسين عام ١٩١٩م ليشترك في مؤتمر السلام في باريس ممثلاً عن العرب، وعندما قررت فرنسا وبريطانيا فرض انتدابهما، رفض أبناء سوريا الطبيعية هذا القرار، وبايعوا فيصل يوم ٨ آذار ١٩٢٠م ملكاً على سوريا بأجزائها الأربعة «سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن». ولم تلتزم بريطانيا بوعودها للعرب، وبعدها قام الجيش الفرنسي بالهجوم على سوريا، فوقف الجيش العربي أمامه في معركة ميسلون غير المتكافئة في تموز ١٩٢٠م.

غادر فيصل سوريا إثر الاحتلال الفرنسي، وبدأ جولات دبلوماسية للمطالبة بحقوق العرب، وفي أوائل ١٩٢١م استجابت بريطانيا لبعض مطالب العرب، ما قاد إلى إنشاء دولتين عربيتين تحت الانتداب البريطاني في العراق وشرق الأردن، وجرى استفتاء في العراق في صيف عام ١٩٢١م، تم على إثره المناداة بفيصل ملكا على البلاد.=

الاسلامي» الذي وصفه المرجع:«**بالمجد الرفيع**»، واستعرض الشيرازي معاناة العراقيين في ظل الاحتلال البريطاني، وما تعانيه:«**الامة العراقية المظلومة في كل لحظة من انواع الظلم الفاحش، والوان الحكم الغاشم،**» فضلا عن الاستهانة بعمق العراق الحضاري والتاريخي: «**والازدراء بتقاليدها الاسلامية** «. وشكى المرجع من الاعتداء على الحقوق المشروعة للعراقيين، والحكم «**الباطل**» للبريطانيين، الى ان وصل الظلم على العراقيين حدا لا يطاق وخشى المرجع من نفاذ صبر وعجز الامة العراقية، عن ايصال صوتها الى دول العالم الحر..اراد زعماء الحوزة ايصال خطابهم الدبلوماسي للمحافل الدولية عن طريق الامير فيصل الذي سبق ان كان ممثلا لاماني العرب بوصفه مندوبا لمملكة الحجاز في مؤتمر السلام في باريس. وبدت لغة المرجعية تقترب من الصدام المسلح بسبب ما وصفه المرجع «**الظلم**» و«**نفاذ الصبر**» و «**سلب الحقوق المشروعة**»[1].

ابلغ المرجع الشيرازي، الامير فيصل انه اعتمد الشيخ محمد باقر الشبيبي لشرح الاوضاع الصعبة التي يعيشها العراقيون، وكشف سياسة التعسف واللم الذي تمارسه سلطة الاحتلال، وطلب الشيرازي من فيصل رفع:« **مظالم العراق ومعاناته من البريطانيين الى الصحافة الحرة في كل انحاء العالم وتظهروها صريحة الى الحكومات**

=وسار فيصل على سياسة الوسطية والاعتدال في النهوض بالعراق والسعي لاستقراره والتخلص من قيود الانتداب، ونجح في تحقيق ذلك عام ١٩٣٢م، حين ألغي الانتداب ودخل العراق عضواً في عصبة الأمم، ولكن الأجل لم يمهل فيصل للاستمرار في خدمة العرب، فتوفي في سويسرا يوم ٨ أيلول ١٩٣٣م بسكته قلبية بينما كان تحت العلاج، ونقل جثمانه إلى بغداد حيث دفن فيها وخلفه ابنه الملك غازي. للتفاصيل: عبدالله حميد العتابي، تنصيب فيصل بن الحسين ملكا على العراق، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، المجلد، ٢٨، العدد٤، ص ص ١٢٣٦-١٢٤٤.

(١) كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى ومقدماتها ونتائجها ١٩١٤-١٩٢٣، ج٣، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٩، ص٦٨. وسيرمز له لاحقاً و. ث. ع. ك.

الاوربية والامريكانية حتى نتمكن بواسطتها من تحصيل مقاصدنا العالية»[١]

كان من الواضح ان المرجعية الدينية ارتكزت في خطابها الدبلوماسي على عرض القضية العراقية على الراي العام الاوروبي والدولي لتحقيق اماني العراق في تحقيق الاستقلال. في ضوء وعود بريطانيا، لاسيما انها ارتكزت على حق تقرير المصير، وتنصيب ملك عربي على العراق مقيد ببرلمان يمثل كل اطياف المجتمع العراقي.

والأخطر في تلك المذكرة ابلاغ الشيرازي بقرب اندلاع الثورة في العراق، اذ قال لفيصل: «**وتيقنوا ان السكوت على الضيم امر لا يستطيع العراقي تحمله**». وامر الشيرازي فيصل بالإسراع في دعم اخوانه العراقيين، ومساعدتهم، لأنه اعتمدوكم للمطالبة باستقلال بلادهم. وحذر فيصل من التعاون مع الاجنبي كيفما كان وامتداد نفوذهم الى هذه الديار[٢].

خلاصة المذكرة الدبلوماسية، ان زعيم الحوزة العلمية لربما وجد في العائلة الشريفية المعبر الحقيقي لاماني الشعب العراقي واماله، بوصف تلك العائلة سليلة العائلة الهاشمية. واستعرض معاناة الامة العراقية من تسلط البريطانيين وارهابهم، وانتظر من الامير فيصل ان يأخذ زمام المبادرة بعرض المسالة العراقية على الصحافة العالمية، وعلى الحكومات الاوروبية والامريكية حتى يفهم العالم طموحات الشعب العراقي وتطلعاته في الاستقلال. وكان توظيف الدبلوماسية في التطلع للاستقلال الغاية الاولى للزعامة الدينية للمرجعية الدينية. وما اعجبني في تلك الرسالة روح الثورة الوثابة لدى العراقيين التي افصح عن مكنونها، **ان العراقيين لا يتحملوا الضيم والهوان**. محذرا فيصل من التشبث بالأجنبي. ووصف ابرز مؤرخي الثورة

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

العراقية تلك الرسالة بالقول:» **ان هذا الكتاب الذي حرره الامام الشيرازي ليحمل الى الامير فيصل، تتجلى فيه درجة تعسف واضطهاد البريطانيين للعراقيين واعتدائهم على اهل العراق، الى اي حد وصلت، حتى يلجأ المواطنون الى المرجع الديني فيحرر هذه الرسالة**»[١]

والباحث يصف تلك المذكرة بان العمل الدبلوماسي كان الطريق الاول الذي سلكه المرجع الاول في عرض قضية بلاده.

وفي سياق متصل، بعث محمد رضا النجل الاكبر للمرجع محمد تقي الشيرازي، بمذكرة دبلوماسية الى الامير علي ين الحسين[٢]ولي عهد مملكة الحجاز افصح

---

(١) فريق مزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠،مطبعة النجاح، بغداد،١٩٥٢، ص٩٣.

(٢) علي بن الحسين أكبر أبناء الشريف الحسين بن علّي، وُلد في مكة المكرمة عام ١٨٨٠، ورافق والده للإقامة في اسطنبول، ثم عاد إلى الحجاز عندما تولى والده الشريف الحسين إمارتها، حيث كان يساعده في مهام منصبه وينوب عنه في غيابه. ولّما انطلقت الثورة العربية الكبرى شارك الأمير عليّ في قيادة جيوشها وقواتها، وبعد البيعة بالمُلْك للشريف الحسين أُسندت إلى الأمير عليّ رئاسة أول حكومة للدولة. بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى خرج فخري باشا قائد الجيش التركي من المدينة المنورة بعد أن حاصرته جيوش الثورة لثلاث سنوات، حيث سلّم نفسه للأمير عليّ الذي دخل المدينة ورفع الراية العربية فيها، ثم عيّنه والدُه أميراً عليها. بذل الأمير عليّ جهداً كبيرا لإعادة الحياة الطبيعية إلى المدينة، كما بذل جهده في إعادة تعمير خطّ سكة الحديد حتى تم إصلاحه. في أواخر عام ١٩٢٤، تنازل الشريف الحسين عن العرش، فبويع الأمير عليّ ملكاً على الحجاز، ثم انتقل من مكّة إلى جدّة حيث بقي يخوض المعارك فيها نحو سنة، ثم غادر الحجاز في أواخر عام ١٩٢٥، وانتقل إلى بغداد للإقامة فيها إلى جانب أخيه فيصل الأول، وكان ينوب عنه أثناء سفره. رزق الملك عليّ بولدٍ واحد هو الأمير عبدالإله الذي أدى دوراً مهماً في المملكة العراقية بعد وفاة الملك غازي بن فيصل، وثلاثِ بناتٍ.توفي الملك عليّ في بغداد عام ١٩٣٥. للتفاصيل:الديوان الملكي الاردني، مركز التوثيق الملكي الاردني الهاشمي، جلالة المغفور له الملك علي بن الحسين بن علي.لمزيد من التفاصيل:

//https: www.rhdc.jo.

الشيرازي الصغير عن تقديره للعائلة الهاشمية التي عدها حياة الامة العربية ومادة وجودها. وامل:«**استعادة شرف الامة الإسلامية الى نصابه الاول على ايدي رجال النهضة الحديثة**».وابدى اعجابه بمملكة الحجاز التي اصبحت موضع:«**اعجاب الدول الكبرى ومحط امال الشعوب العربية التي ما فتئت تنضر الى ماضيها السعيد وتتشوق الى حضارتها القديمة**». وقدر الشيرازي الصغير نضال الامير فيصل؛ فالشعب العربي مدين لكم بتفاديكم العجيب:«**لإنقاذكم اياه من اشراك الظلم والاستعباد ومخالب العتو والاستبداد**»[١]

تطلع الشيرازي الصغير لمملكة الحجاز لإيصال صوت العراقيين الى المحافل العربية.

قدر تعلق الامر بالعراق، فقد ذكر محمد رضا الشيرازي في مذكرة دبلوماسية اخرى الى الامير فيصل بطبيعة الشعب العراقي الذي امتاز بجرأته في عرض جملة قرارات ابرزها:

١-مبايعة الملك حسين.

٢-سعى بقوة الى الاستقلال.

٣-امتاز بنعرة وطنية.

٤-انه الاقرب للوحدة العربية من غيره، على اساس ان اغلبية الشعب العراقي عربية.

وعليه، تمنى الشيخ محمد رضا وباسم الشعب العراقي من فيصل قائلا: «**ان يسمع صدى دفاعكم عنه، فقد اكله الظلم، ونخر عظامه الاستبداد، ولا يخفى على سموكم ما لاقاه العراقيون من بدء الاحتلال الى هذا اليوم**». واستعرض الشيرازي الصغير:«**المصائب العظيمة والخطوب الجسيمة والمظالم والاعتسافات**» في سبيل ترشيح

(١) و.ث.ع.ك،ص٧٢-٧٣.

احد انجال الملك الحسين ما لا يمكن سرده لكم. ولان قوات الاحتلال البريطاني قد خنقت العراقيين الى حد عجز الاخيرين في عرض قضيتهم على العالم الحر، فقد تمنى الشيرازي الصغير ان يتصدى الامير فيصل للمسالة العراقية من اجل رفعها في عصبة الامم، والى الصحافة الحرة والحكومات الدمقراطية[١]

وتشابهت رؤى المرجع ونجله الاكبر في وضع ثقتهم بالأمير فيصل، ولعل سلوك الخطاب الدبلوماسي احدى الوسائل التي وظفتها المرجعية من اجل عرض القضية العراقية على المحافل الدولية.ويبدو ان المرجعية الدينية قد حملت فهما عميقا في العلاقات الدولية، واستنتجت اهمية عصبة الامم في رسم حدود العالم ما بعد الحرب العالمية الاولى، في ظل نهاية ثلاث امبراطوريات عالمية، وولادة دول جديدة[٢].

وصف الشيرازي الابن البريطانيين في مذكرته ؛بانهم اعداء الاسلام الذين عاثوا فساداً، وضيقوا الخناق على العراقيين عن طريق التحكم الغريب والظلم العجيب واشار الشيخ محمد رضا الى العدوان على الاماكن المقدسة، واهانة العلماء الروحانيين الامر الذي ادى الى هجرة نخبة حوزوية من جماعة العلماء من العراق الى بلاد فارس، بعد ان لمسوا سياسة الازدراء والاهانة والتحقير التي مارستها السلطات البريطانية تجاه علماء الدين في مدن كربلاء والنجف والكاظمية. ويختتم الشيرازي رسالته بالقول: «**نعم كبر عليهم** (اي علماء الحوزة) **ان يروا الاعلام الصليبية تخفق في البلاد العربية، فالله الله بالعراق، وانتشاله من مهاوي الحيف والجور**»[٣].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) عبدالله حميد العتابي، القوى الدولية في القرن العشرين، بغداد، ٢٠١٤، ص ١٩.

(٣) و.ث.ع.ك،ص٧٣.

دبلوماسية المرجعية الدينية تجاه عصبة الامم ودول العالم

استشعر المرجع الاعلى للحوزة الشيخ الشيرازي بأهمية عصبة الامم التي تأسست في العاشر من كانون الثاني ١٩٢٠، بوصفها هيئة دولية تلعب دورا بارزا في تنظيم العلاقات الدولية، وما يعترض طريقها من مشاكل حفاظاً على السلم العالمي، وعدم اللجوء الى الحرب بوصفها وسيلة تحل المشاكل والمنازعات. ولان من اهدافها صيانة السلم والامن الدوليين.فضلا عن احترام القوانين الدولية واحترام العهود والمواثيق التي تنص عليها المعاهدات الدولية. لذا بعث الشيرازي الى العصبة بمذكرة دبلوماسية في ٢٧ ذي القعدة ١٣٣٨.

وبرر مراسلته شخصيا للعصبة بسبب اختيار الامة، زعامة المرجعية الدينية، بوصفها المعبر الحقيقي عن مطالبها، ولذا قدم شكواه الى عصبة الامم نيابة عن العراقيين، بسبب ما تبديه **الحكومة الاحتلالية البريطانية في العراق، من ضروب القسوة وسفك الدماء البريئة**.وقدر تعلق الامر بالعراقيين، فقد **اطاعوا، ورضخوا كثيرا للبريطانيين في دفع الضرائب، بل لكل جزاء وسيطرة شاءها الانكليز وشاءها الهوى،** وذكر الشيرازي العصبة بتطلع العراقيين لتحقيق وعود بريطانيا على وفق الاعلان البريطاني – الفرنسي، وانتظروا طويلاً، **منح الشعب العراقي الكريم استقلاله في ادارة شؤونه وتدبير مصالحه العامة، وتأييد الدولتين لهذا الشعب الحر في إظهار رغائبه وحكمه الذاتي بتمام حريته.**

وحين طالبت الامة العراقية بتحقيق اماالها في ضوء الاعلان البريطاني –الفرنسي، **ثارت بريطانيا رفضا، واستخدمت القوة بدون وجه حق، ففتكت بالعراقيين فتكا ذريعا، واخذت تهاجم بتياريها ومدافعها حتى اعدمت من اعدمته، ونفت وسجنت من ارادته،**

واحرقت دورا وهدمتها، ونهبت اموالا وصادرتها، وعملت اعمالا لا تأتلف وروح المدنية المزعومة فيها، بل ان الاعمال التي جاءت بها يأباها كل انسان[١].

وسوغ المرجع الكبير للثورة بالدفاع عن النفس والشرف، بعد ان **يأس العراقيون من تحقيق اماهم بالوسائل السلمية**. وتمنى الشيرازي نصرة العراقيين من جانب العصبة، بعد ان استعرض سياسة بريطانيا القمعية في العراق. واختتم رسالته بالقول: **نستجير بمن يمثل العدل، فانقذوا امة تأبى ان تعيش دون ان تأخذ حقها الصريح المعترف به**[٢].

ان قراءة سريعة تعبر عن عمق معاناة العراقيين التي افصح عنها زعيم الحوزة العلمية الشيخ الشيرازي بوصفه الممثل الحقيقي لتطلعات العراقيين. والحق فقد امتازت اللغة الدبلوماسية لتلك المذكرة بالدقة والوضوح والاختصار، وانتهج المرجع ارقى اساليب التعامل في مكاتباته ومراسلاته الدبلوماسية، فكانت نموذجا يحتذى بها.

كان من الواضح ان زعامات المرجعية الثورة قد آمنت بالتدخل الدولي لنصرة القضية العراقية، وهكذا اتفق علماء الحوزة وشيوخ العشائر ووجهاء المدن على تقديم مذكرة احتجاج دبلوماسية في الاول من محرم ١٣٣٩ الى الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا وروسيا وتركيا والمانيا وايران وهولندا وسنستعرض المذكرة الدبلوماسية المعنونة الى هولندا، اذ افتتحت مذكرة المرجعية وقادة الثورة، بالتأكيد على حلم الاستقلال الذي راود العراقيين قبل الحرب العالمية الاولى، فقد امل

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

العراقيون بالاستقلال التام والحكم الذاتي بالوسائل السلمية والاحتجاج السلمي في العهد العثماني، وكان الاحتلال البريطاني في العراق قد ادخل الراحة والامل في نفوس العراقيين الذين تمنوا تحقيق مطالبهم الاستقلالية، في ضوء بيان الجنرال مود الذي اصدره بعد دخوله بغداد في التاسع عشر من اذار ١٩١٧، وزعم فيه:«**ان الجيوش البريطانية لم تدخل مدن العراق واراضيه بصفة قاهرين او اعداء بل بوصفهم محررين**». واكد الجنرال وليم مارشال الذي خلف الجنرال مود بعد وفاته بمرض الكوليرا في ١٨ تشرين الثاني ١٩١٧ في قيادة الجيش البريطاني في اجتماعه مع اعيان بغداد في الحادي عشر من تشرين الثاني ١٩١٨، المبادئ نفسها[١].

وحين انتهت الحرب العالمية الاولى استبشر العراقيون خيرا بدعم الشعوب المحتلة، وبالتمهيد للسلم العالمي عن طريق اقرار حق تقرير المصير للشعوب المحتلة، وتأسيس عصبة الامم، وفرح العراقيون بإصدار التصريح المشترك الذي اعلنته بريطانيا وفرنسا في السابع من تشرين الثاني وجاء فيه: «**ان الغاية التي ترمي اليها كل من فرنسا وبريطانيا من خوض غمار الحرب في الشرق... هو تحرير الشعوب التي طالما رزخت تحت اعباء استعباد الاتراك تحريرا تاما نهائيا وتأسيس حكومات وادارات وطنية تستمد سلطانها من رغبة السكان الوطنيين ومحض اختيارهم**»[٢].

(١) لمزيد من التفاصيل:جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، الموصل،١٩٨١، ص١٧.

(٢) و.ث.ع:ك،صص ٣٠٤-٣٠٨.

وقد حافظ العراقيون على النظام والسلام والامن خلال مدة الاحتلال البريطاني، على الرغم مما لحق بالعراقيين من الاضرار المالية وغيرها بما لم يعهده العراقيون من قبل، وعلى الرغم من انتظار العراقيين وامانيهم الى الحرية التامة النهائية، فان الحكام السياسيين في مدن العراق من الضباط سعوا ضد استقلالنا وحريتنا ؛فعزمنا على المطالبة بحقوقنا الطبيعية المشروعة. واشارت المذكرة الى مطالبة العراقيين باستقلالهم التي قوبلت بالقمع والاضطهاد من جانب الضباط البريطانيين لا لسبب سوى منع مساعينا في طلب الحقوق المشروعة، وصاروا يسعون في تضييع حقوقنا وحريتنا.

وضربت المرجعية مثلا في ذلك **بان البريطانيين ابرزوا لبعض الاعراب اوراقا مكتوبة باللغة الانكليزية، زعموا انها اوراق مالية زراعية، وطلبوا توقيع الاعراب، وظهر بعد ذلك انها اوراق اعتراف بالانتداب البريطاني على العراق. وتم تضييق الخناق على الذين اكتشفوا هذا التلاعب**، ليس هذا فحسب، بل عددت المضبطة معاناة العراقيين من الجيش البريطاني، وارهابهم ضد العراقيين، فعلى سبيل المثال، لا الحصر، **حبست السلطات الاحتلال بقسوة جماعة من العراقيين، وساقت جماعة من علماء وسادة واشراف ورؤساء عشائر الى مكان تجهله عوائلهم، وقصفوا بيوت بعض رؤساء العشائر واحرقوها، وقتلوا بعض الناس والخيول والماشية، مع ان اصحاب البيوت كانوا غائبين عنها. لا لسبب اقترفوه سوى طلب حقوقهم الطبيعية في الحرية والاستقلال، على الرغم من ان اولئك المتضررين من اعتداءات القوات البريطانية في العراق، هم اكثر العراقيين دعوة الى الحفاظ على السلام، وحفظ الامن العام، وتسترسل مضبطة شيخ الشريعة وزعماء الثورة في متابعة اجراءات الحكام السياسيين من الضباط الذين مارسوا القوة العسكرية بشدة. الامر الذي دفع العراقيون الى التراص والوحدة للحفاظ على دمائنا**

وشرفنا ونواميسنا مع الحفاظ على السلم والتباعد عنهم مهما امكن الا ان البريطانيين لم يتركوا متابعة العراقيين، فتتبعوا في اثاره، جيوشهم ومدافعهم وطائراتهم.

وعلى الرغم من طلب السلام والامن والسماح بطلب الحقوق والاحتجاج السلمي، فان الادارة البريطانية لم تستجب لرغبات العراقيين. وشكت المضبطة: «**من نجيبهم الى الهدنة وشروتها لعلهم يهتدون ؛فيغدرون، تخلي سبيلهم مع اسلحتهم وقواهم، فيأخذوننا على الغفلة، وقد جرى من كثرة الناس القتل في نسائنا واتفالنا وقذف القنابل على معبدنا ما يبكي الانسانية والمدنية والنواميس الدينية**»[١].

واكدت المضبطة على منع الاتصالات مع العالم الخارجي، حتى تمنع وصول معاناة الشعب العراقي للدول الاوربية، بل **ذهبت الادارة البريطانية في بغداد بعيدا، بمنع العراقيين حتى من الاتصال بحكومة لندن ؛بغية بث شكواها**.ويبدو ان المذكرة الدبلوماسية الذي روجها شيخ الشريعة تمثل بعرض مظالم العراقيين امام الراي العام الاوربي والعالمي، وكل الدول «**التي نهضت لفك الانسانية من اسر الاستبداد القاسي، وانقاذها من مخالب الظلم الوحشي**». لا سيما ان عصبة الامم بمنظور العراقيين صممت على:« **تعميم العدل في البشر وتمهيد السلام والامن العام، وضمنت رفع الحضر عن الامم المطالبة بحقوقها** ». واملت الوثيقة بمبادئ العدل الدولية التي امنت بها الدول المتمدنة بالسماح بنهضة حقوق الامة العراقية. واعلن شيخ الشريعة والمجاهدين من علماء الدين ورؤساء العشائر ووجهاء المدن الثائرة في تلك الوثيقة **عن قدرة ابناء العراق على ادارة بلدهم، لا سيما ان العراق يمتلك ثروات تجارية وزراعية وبشرية، واستعداد دائم للبناء والعمران والرقي والتطور، فضلا عن**

(١) المصدر نفسه.

وجود كفاءات قادرة على النهوض بالبلاد من الأطباء والضباط والكتاب والمأمورين والمهندسين ومديري المكاتب[١].

ومن استقراء تلك المذكرة ندرك انها توجهت الى الدول الحرة والكبرى، وتمثلت بلباقة الكتابة واللغة وحسن المرونة والايجاز، واسلوب خطاب ملائم لمن ارسل اليه. وفي سياق متصل، امتازت مذكرة المرجعية، بانها منحتنا، وصفا تاما ودقيقا للسياسة القمعية، وارهاب الدولة الذي مارسته بريطانيا ضد العشائر العراقية، والعراقيين قبيل وخلال الثورة، وصور لنا مذكرته بحقائق وادلة لا تدحض القصف الهمجي لطائرات ومدافع الجيش البريطاني ضد الامنين من العراقيين.

دبلوماسية الحوزة تجاه الولايات المتحدة لعرض القضية العراقية

استبشر العراقيون، لاسيما رجالات المرجعية خيراً بمبدأ حق تقرير المصير الذي اعلنه الرئيس الامريكي ودرو ولسن[٢]، إذ ظهرت فكرة مبدأ تقرير المصير

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ودرو ولسن: الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية. شغل هذا المنصب لدورتين من عام ١٩١٣ حتى عام ١٩٢١. قاد الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الأولى حيث لعب دورًا أساسيًا في توقيع اتفاقية فرساي وساهم في تأسيس عصبة الأمم التي كانت بدايةً لمنظمات الأمم المتحدة. وبسبب دوره الرئيسي في تأسيس عصبة الأمم حصل ويلسون على جائزة نوبل للسلام لعام ١٩١٩.درس القانون وحصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية والتاريخ. في عام ١٨٩٠ بدأ بالتدريس في جامعة برينستون وعمل كرئيس للجامعة بين عامي ١٩٠٢ و١٩١٠. دخل عالم السياسة في عام ١٩١٠ عندما أصبح محافظ ولاية نيوجرسي عن فئة الحزب الديمقراطي. تمَّ اختيار ويلسون كمرشح رئاسي للحزب الديمقراطي في انتخابات عام ١٩١٢ حيث ربح الانتخابات بسهولة. عندما بدأت الحرب العالمية الأولى اتبع ويلسون سياسة الحيادية في البداية ولكنه أُجبر بعد ذلك على دخول الحرب بسبب حرب الغواصات المفتوحة الألمانية.في عام ١٨٧٣ سجَّل ويلسون في كلية دافيدسون التي تقع بولاية كارولاينا الشمالية ولكن في عام=

في ذهن الرئيس الامريكي ولسن قبل وقت طويل من دخول الولايات المتحدة إلى الحرب العالمية الأولى، وكان قد اشار مرات عديدة إلى تلك الفكرة قبيل الحرب على سبيل المثال، قال في الثالث والعشرين من أيار ١٩١٤: «**لا يوجد شعب لا يصلح للحكم الذاتي، إذا تم توجيهه الوجهة الصحيحة**». لا يربط هذا التصريح بالأهمية، التي أولاها الرئيس ولسن للحكم الذاتي والديمقراطي والزعامة، بوصفها عناصر ضرورية في بناء الأمة فحسب، بل توضح اعتقاده المبكر على ان الشعب بحاجة إلى التوجيه، من اجل توضح ما لديهم من خبرات في كيفية حكمهم لأنفسهم. كما قال ايضا في كلمة وجهها إلى مجلس الشيوخ الأمريكي في الثاني والعشرين من كانون الثاني ١٩١٧: «**يجب أن نترك لكل شعب حرية تقرير حكومته الخاصة، طريقته الخاصة في التطور، لا يتعرض للخوف، ولا توضع أمامه عقبات ولا يهدد الصغير مع الكبير ومع القوي**». ومن ثم أعلن الرئيس الأمريكي ولسن في الرابع من كانون أول١٩١٧، بأنه يأمل:«**منح شعوب الإمبراطورية التركية حق وإمكانية ضمان حياة آمنة، وحفظ مصيرها من الاعتداء والظلم**».

=١٨٧٥ انتقل إلى برينستون حيث تخرج في عام ١٨٧٩.في عام ١٨٧٩ دخل كلية الحقوق في جامعة فيرجينيا. وبعد تخرجه، عمل بالمحاماة لمدة سنة في مدينة أتلانتا بولاية جورجيا، ولكنه لم ينجح. في عام ١٨٨٣ حصل على القبول للتسجيل في جامعة جونز هوبكينز لدراسة التاريخ والعلوم السياسية. وفي عام ١٨٨٦ قدّم أطروحته بعنوان «حكومة الكونجرس: دراسة في علم السياسة الأمريكية» وحصل على درجة الدكتوراه. وقيل أنه عندما تعرض ويلسون لسكتةٍ دماغيةٍ خطيرة وأصبح عاجزًا في تشرين الأول/ أكتوبر من عام ١٩١٩، أخفت إديث خطورة مرضه، وقامت بإصدار الأحكام بالنيابة عنه. توفي وودرو ويلسون في ٣ شباط/ فبراير عام ١٩٢٤ عن عمرٍ ناهز السابعة والستين. للتفاصيل:نجلاء محمد بدر الدين ذياب، السياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة الامريكية في عهد ودروو ويلسون، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ٢٠١٦.

وصرح أمام الكونغرس في الحادي عشر من شباط ١٩١٨ بما يلي: «**لن تكون هناك الحاقات أو تعويضات عقابية. ولن يتم تسليم الشعوب من سيادة إلى أخرى من خلال مؤتمر دولي أو تفاهم بين المنافسين والخصوم، ويجب احترام التطلعات القومية، ولابد أن تتم السيطرة على الشعوب وحكمها عند موافقتها على ذلك فقط في الوقت الحاضر**». وأبدى الرئيس ولسن التزامه بمبدأ حق تقرير المصير في مأدبة عشاء أقيمت في مقر الرابطة الأمريكية في العاصمة الامريكية واشنطن في السابع والعشرين من أيار ١٩١٩، لفرض السلام، بالقول: «**نحن نؤمن بهاتين النقطتين الأساسيتين. النقطة الأولى: أن لكل الشعوب الحق في اختيار السيادة التي ستعيش في ظلها؛ النقطة الثانية: أن للدول الصغيرة في العالم الحق في التمتع بالاحترام نفسه لسيادتها ولسلامة أراضيها الإقليمية، وهو ما تتوقعه وتصر عليه الشعوب الكبيرة والقوية**»[١].

وعلى الرغم من، عدم ظهور عبارة «**حق تقرير المصير**» الحرب العالمية الأولى، الا أن ولسن اشار اليها بالتأكيد حينما ذَكَرَ كل شعب في تقرير حكومته الخاصة وطريقة التطور. ومن الواضح ان هذه الفكرة قد كسبت الاعتراف العالمي في الأشهر اللاحقة قبيل انعقاد مؤتمر باريس.

بذلك افتتح تصريحاته ووعوده، التي أدلى بها بعد دخول بلاده الحرب. وفي مؤتمر باريس أثار الموضوع نفسه، أكثر من مرة، فأعلن أن في رأيه: «**لا يوجد سبيل صحيح آخر لتسوية مسألة مصير شعوب الشرق الأوسط، سوى توضيح رغبة سكان هذه المناطق**». وانه من وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية لا تهم مطلقا، أي

---

(١) كمال مظهر احمد، اضواء على قضايا دولية في الشرق الاوسط، بغداد، ١٩٧٨، ص٥٧؛ روبين متشل اوشرود، الحرب العالمية الاولى وسياسة حق تقرير المصير، بغداد، ٢٠٠٨.

ادعاءات تدعي بريطانيا وفرنسا بالنسبة لهذا الشعب أو ذاك، ألا ان شروطه ألا يقوم الشعب المعني ضدهما[١].

ان المبادئ الرئيسة، التي تمسكت بها الولايات المتحدة رأي المحكومين، وان جوهر مبادئ الرئيس ولسن الذي طالما كرر التساؤل للبريطانيين-: هل انكم تحضون بالقبول لدى سكان بلاد النهرين[٢].

كان من الواضح، أن ظروف الحرب العالمية الأولى واحداثها، قد ساهمت في صياغة بنود الرئيس ولسن الأربعة عشر، التي سبق ان أعلن عنها امام الكونغرس في الثامن من كانون الثاني ١٩١٨، واتبعها بأربعة، ومن ثم خمسة بنود توضيحية[٣]

وفي مؤتمر الصلح في باريس، الذي توقف على نتائجه إلى حدٍ كبير مصير العالم، كرر الرئيس ولسن مبادئه، والذي يعنينا هو البند الثاني عشر الخاص بالدولة العثمانية، الذي أشار بوضوح إلى منح الشعوب غير التركية الخاضعة للدولة العثمانية حق تقرير مصيرها[٤].

ان العراقيين وجدوا في «**حق تقرير المصير**» أفضل السبل للتمسك باستقلالهم على أساس الثقة الكاملة بوعود الرئيس الأمريكي لأن من المعتقد أعطى الرئيس

---

(١) كمال مظهر احمد، حول تغلغل النفوذ الامريكي في الشرق الاوسط وبنود الرئيس ولسن، افاق عربية، بغداد، العدد ٣، تشرين الثاني ١٩٧٦،ص١١٦.

(٢) كمال مظهر احمد، اضواء على قضايا دولية، ص٧٥.

(٣) عبدالله حميد العتابي وحيدر حميد رشيد، الحوزة العلمية والتأثيرات الامريكية في العراق ١٩١٩-١٩٢١،بغداد،٢٠١١،ص ص ٥٠-٥٣.

(٤) المصدر نفسه.

ولسن «ضمانات أمريكية إلى جميع العرب الذين كانوا تحت السيطرة العثمانية[١]

لكل ذلك لن يتردد قادة المرجعية في مراسلة الرئيس ولسن. ونظراً للأهمية التاريخية لهذه المذكرات الدبلوماسية، سنستعرض نصوصها لنقوم بعدها بتقويم مضمونها الحقيقي في ضوء ما تقدم[٢]:

لحضرة رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية المحترم:

«ابتهجت الشعوب جميعا بالغاية المقصودة من الاشتراك في هذه الحروب الأوروبية من منح الأمم المظلومة حقوقها وافساح المجال لاستمتاعها بالاستقلال حسب الشروط المذاعة عنكم، وبما إنكم كنتم المبدأ في هذا المشروع، مشروع السادة [السيادة] والسلام العام، فلا بد وان تكونوا الملجأ في رفع الموانع عنه، وحيث قد وجد مانع قوي يمنع من إظهار رغبات كثيرة من العراقيين على حقيقتها بالرغم مما أظهرته الدولة البريطانية من رغبتها في إبداء آرائهم فرغبة العراقيين جميعهم والرأي السائد ؛بما إنهم ملة مسلمة، أن تكون حرية قانونية، واختيار دولة جديدة عربية مستقلة إسلامية وملك مسلم مقيد بمجلس وطني، وأما الكلام في أمر الحماية فان رفضها أو الموافقة عليها يعود إلى رأي المجلس الوطني بعد الانتهاء من مؤتمر الصلح. فالأمل منا حيث أنا مسؤولون عن العراقيين في بث آمالهم وإزالة الموانع من إظهار رغائبهم بما يكون كافية ليطلع الرأي العام على حقيقة الغاية التي طلبتموها في الحرية التامة، ويكون لكم الذكر الخالد في التاريخ بحرية العراق ومدنيته الحديثة.

---

(١) ولير كرين ايغلاند، حبال من الرمل، ترجمة سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٥،ص٢١.

(٢) فريق المزهر الفرعون، المصدر السابق، ص٣٩١-٣٩٢.

شيخ الشريعة ومحمد تقي الحائري الشيرازي

نستخلص من المذكرة الدبلوماسية اعلاه تطلع المرجعية الدينية بوصفها المظلة الشرعية، التي استند عليها التحرك الجماهيري وقتذاك، إلى جملة امور تفصح عن دور المرجعية الدينية في الحركة السياسية والاجتماعية الذي يعد دوره أساساً متصلاً بحركة الشعب العراقي؛ ويمكن ان نحددها بالنقاط التالية:

١-استشعر العراقيون من كبار المراجع في الولايات المتحدة الأمريكية بدورها العالمي الجديد وما ينتج عنه من تأثير في العلاقات الدولية.

٢-الطلب من الرئيس ولسن دعم تطلعات الشعب العراقي في ولادة دولة جديدة تكون وفق الصيغ الثلاث: ديمقراطية دستورية، أولا؛ مستقلة عربية إسلامية، ثانياً؛ واخيراً، أن يكون شكل النظام ملكي مقيد ببرلمان.

كانت رؤية النخبة في الحوزة بعيدة المدى إلى الدرجة، التي توقعت لها فرض نظام الانتداب على العراق، اذ اشترطت في قبول الحماية أو رفضها، بموافقة البرلمان العراقي المزمع انتخابه والذي اسموه «المجلس الوطني».

٣- عد زعماء الحوزة أنفسهم الممثل الحقيقي للشعب العراقي وارادوا من تلك الرسالة طرح القضية العراقية من قمة أعلى منبر عالمي.

٤- أمل المرجع الشيرازي أن حق تقرير المصير، الذي أعلنه الرئيس ولسن في مؤتمر الصلح في باريس سيعود على العراق بالاستقلال وبناء بلد جديد على أسس حضارية حديثة، في حين سيكون للرئيس ولسن الذكر الطيب لإقراره مبدأ حق تقرير المصير.

كان الشيرازي، قد بعث بمذكرة دبلوماسية اخرى إلى الرئيس الأمريكي أعرب فيها عن مساندة الأمير فيصل حينما كان في باريس ليفاوض في المؤتمر الدولي بوصفه مندوباً عن الأمة العربية ومطالبة الحلفاء باستقلال الدول العربية. وتبعاً لذلك

أرسلت الرسالة إلى السفير الأمريكي في طهران ومما جاء فيها[١]:

«نظراً إلى ما أملته حكومة الولايات المتحدة من الشروط المعروفة التي قدمها رئيس جمهوريتها لإحقاق الحقوق وتقرير المصائر. قد رأينا أن تراجع حكومة الولايات المتحدة بتوسطكم وتستعين بها في تأييد حقوقها بتشكيل دولة عربية، ولا يخفاكم أن كل أمة مطوقة بالقوات العسكرية المحتلة من كل الجوانب لا تجد أمامها مجالاً حراً للتعبير عن آرائها في الحرية والاستقلال، أما حرية الرأي المزعومة في هذا العهد فلا يطمئن إليها الناس لهذا خشي أكثر الأهالي أن يعلنوا رغائبهم ويكشفوا عما في ضمائرهم، وإذا كان خلاف ذلك، فإنه لا شك منبعث من الظروف القاسية المحيطة بهذي [بهذه] البلاد لذلك رأى الشعب العراقي ان يستعين بحكومة الولايات المتحدة على المطالبة بحقوقه وإنجازها».

نستخلص من تلك الوثيقة الطبيعة الدبلوماسية لفكر الشيرازي من خلال تكرار المطالبة بالحقوق الطبيعية التي أكد عليها الرئيس ولسن في بنوده الأربعة عشر، لاسيما حق تقرير المصير بتشكيل دولة في العراق. فضلاً عن ذلك، التأكيد على أن الاحتلال البريطاني للعراق قد كبت حرية الرأي فيه. كما لفت الانتباه بفطنة إلى استفتاء السير أي. تي. ويلسن نائب الحاكم الملكي البريطاني في بغداد دون المساس المباشر بالدولة البريطانية، التي كان بعض زعمائها قد أدركوا زيف الاستفتاء. ومن الملفت للنظر حاكمت الرسالتان الرئيس الأمريكي بمنطقه الليبرالي[٢]، وهو المنطق الذي اختتمت به الرسالتين إلى الرئيس الأمريكي من أن حق تقرير المصير، الذي جاءت به مبادئ الرئيس ولسون من شأنها أن تقيم في العراق نظاماً عصرياً.

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٩٢-٣٩٣.

(٢) حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠،دار نشر روح الامين، ١٤٢٦هـ، ص ١٠٩.

وعلى المستوى الدولي تم التأكيد في الرسالتين على هوية الدولة المراد إقامتها: «**عربية ديمقراطية دستورية مستقلة**».

هكذا، سعى البريطانيون الى تحجيم دبلوماسية المرجعية الدينية في كربلاء والكاظمية والنجف، ونفي عدد من العلماء. فضلا عن، توقيع تعهد بعدم التدخل في السياسة.

لقد عرفت الحوزة نفسها بوصفها حوزة عراقية، ولم تجعل الهوية الشيعية تنويعاً على الهوية العراقية، وعلى الرغم من تعريف البعض للهوية الشيعية بوصفها عابرة للحدود، اوسع واكبر من الهوية العراقية، إلا ان تسمية الشيعة، الذي استخدم بكثرة في الوثائق البريطانية في تلك المرحلة، لم يكن يشير الى جماعة دينية مغلقة، ولا الى جماعة تشبه الطوائف او الاقليات الدينية، ولكن الى جماعة ديموغرافية كبيرة يرى اعضاؤها التشيع تنويعاً او جزءا من نسيج هوياتهم، فشيعة العراق يعرفون انفسهم بانهم مسلمون وانهم عرباً.

الخاتمة:

توصل الباحث الى جملة من الاستنتاجات الاتية:

***. كانت مرجعية الشيرازي القدوة في تطبيق الدبلوماسية السياسية، فقد انتهجت مذكراتها الدبلوماسية ومكاتباتها ورسائلها، ارقى اساليب التعامل، فكانت نموذجا يحتذى به الى جانب ما اتسمت به تلك الكتابات بقوة الاسلوب وعمق المحتوى، الامر الذي يدلل على حكمة المرجعية.**

***. اصَّلت مرجعية الشيرازي قواعد القانون الدولي العام، حين عدت وعود الدول الكبرى – بريطانيا وفرنسا– بمثابة مواثيق دولية قابلة للتطبيق، ووضعت قاعدة عدم مخالفة الوعود.**

المصادر:

اولاً: الكتب العربية:

١– جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، الموصل،١٩٨١.

٢– حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤–١٩٩٠، دار نشر روح الامين ،١٤٢٦ه.

٣– روبين متشل اوشرود، الحرب العالمية الاولى وسياسة حق تقرير المصير، بغداد، ٢٠٠٨.

٤– صادق حسن السوداني، صفحات من تاريخ عصبة الامم، دار الجواهري، بغداد،١٩٩٠.

٥– عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، دار الشؤون الثقافية، بغداد ،١٩٩٢.

٦- عبد الله حميد العتابي وحيدر حميد رشيد، الحوزة العلمية والتأثيرات الامريكية في العراق ١٩١٩-١٩٢١، بغداد،٢٠١١.
٧- عبد الله حميد العتابي وغانم نجيب عباس، الخطاب الحوزي في ثورة العشرين، بغدد ،٢٠٢٠.
٨- عبد الله حميد العتابي، القوى الدولية في القرن العشرين، بغداد، ٢٠١٤.
٩- عبد الوهاب القيسي واخرون، تاريخ العالم المعاصر، بغداد، ١٩٨١.
١٠- فريق مزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٢.
١١- كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى ومقدماتها ونتائجها ١٩١٤-١٩٢٣، ج ٣، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٩.
١٢- كمال مظهر احمد، اضواء على قضايا دولية في الشرق الاوسط، بغداد،١٩٧٨.
١٣- نضال داود المومني، الشريف الحسين بن علي والخلافة، منشورات لجنة تاريخ الاردن،١٩٩٩.

ثانياً: الكتب المترجمة

١- ولير كرين ايغلاند، حبال من الرمل، ترجمة سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٥.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح:

١- علاء عباس نعمة، محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٨-١٩٢٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية / جامعة بابل، ٢٠٠٤.
٢- نجلاء محمد بدر الدين ذياب، السياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة الامريكية في عهد ودروو ويلسون، رسالة ماجستير غير منشورة،

كلية البنات، جامعة عين شمس، ٢٠١٦.

رابعاً: المجلات والدوريات

١- عبد الله حميد العتابي، تنصيب فيصل بن الحسين ملكا على العراق، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، المجلد ٢٨، العدد ٤.

٢- كمال مظهر احمد، حول تغلغل النفوذ الامريكي في الشرق الاوسط وبنود الرئيس ولسن، افاق عربية، بغداد، العدد ٣، تشرين الثاني ١٩٧٦.

خامساً: الأنترنت

١- الديوان الملكي الاردني، مركز التوثيق الملكي الاردني الهاشمي، جلالة المغفور له الملك علي بن الحسين بن علي. لمزيد من التفاصيل: انظر: **https://www.rhdc.jo/**